**المحاضرة الأولى**

**مدخل تاريخي**

**تمهيد:**

استغرق نشر الدين الإسلامي ببلاد المغرب سنوات طويلة، كما عرف تعاقب عدد من القادة الفاتحين، ومر بمراحل تأثرت أغلبها بالحياة السياسية بالمشرق، وبظروف الخلافة والحكم به، إضافة إلى ظروف المغرب العربي الاجتماعية والعسكرية، وفيما يلي تلخيص لأبرز تلك المراحل.

**فتح بلاد المغرب:**

كان دخول العرب لبلاد المغرب مخططا له، وتم ذلك عبر حملات استطلاعية، استكشف فيها العرب البلاد والعباد.

**أولا – المرحلة الأولى (27 – 64 هـ):**

1/ حملة عمرو بن العاص: قام هذا القائد - بعد فتح مصر مباشرةً-، بفتح طرابلس وبرقة، لتأمين الحدود الغربيّة لمصر من خطر البيزنطيّين. وذكر المؤرخون بأن عمرو بن العاص أراد المضي قدماً بفتوحاته، ولكن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) منعه من ذلك، بسبب تخوّفه على جيش المسلمين من التشتّت في تلك المناطق الشاسعة، خاصة وأن فتح مصر وبلاد الشام لازال حديثاً، وأن الجيش مازال بحاجة إلى توطيد دعائمه في تلك البلاد.

2/ حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح: انطلقت هذه الحملة عام (27 هـ/ 647م)؛ وذلك بعدما عيّنه الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عاملا على مصر. وقد استطاع هذا القائد التقدم إلى مشارف سبيطلة وتحقيق النصر، وتمكن مع جنده من قتل جرجير القائد البيزنطيّ. وكانت هذه الحملة أوّل انتصار للمسلمين على البيزنطيين في بلاد المغرب، كما كانت اكتشافا للمنطقة بهدف التحضير للحملات التالية.

3/ حملة معاوية بن حُديج: خاض معاوية بن حُديج ثلاث حملات عسكريّة لفتح بلاد المغرب، كانت الأولى عام (34هـ) مع جيش عبد الملك بن مروان، وفيها توجّه من الفسطاط إلى بلاد قمونية، وهي مكان مدينة القيروان حاليا، والثانية انطلقت عام (40هـ)، بينما انطلقت الثالثة عام (46هـ). وتذكر المصادر أن معاوية بن حُديج استقرَّ في جبل القرن الواقع شمال القيروان، وأرسل جيوشه لفتح المناطق القريبة منه؛ حيث فتح عبد الله بن الزبير منطقة سوسة، وفتح عبد الملك بن مروان منطقة جلولاء.

4/ حملة عقبة بن نافع الفهري: يعزى فتح بلاد المغرب لعقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري (رضي الله عنه). وقد أهّله لفتح البلاد ونصرة الدين بها عدة عوامل هي: العبادة، والأخلاق، والورع، والشجاعة، والقوة العسكرية، والقيادة.

انطلقت حملة عقبة بن نافع صوب القارة الإفريقية عام (50هـ)، حيث توجّه إليها من جهة الصحراء، وكان بصحبته 10,000 فارس، وقد أثمرت هذه الحملة بالسيطرة على القيروان، واتخاذها قاعدة للمسلمين، وعاصمة لبلاد المغرب. واستمر كذلك لغاية عزله وتعيين أبو المهاجر بن دينار والياً على القيروان عام (55هـ)، فلما تم تعيينه مرة أخرى على ولاية أفريقيا والمغرب عام (62ه)، واصل حملاته على القبائل البربرية، مثل لواتة وهوارة وزناتة ومكناسة، ووصل إلى طنجة وليلى وبلاد السوس وبلغ المحيط الأطلسي. ويُذكر أنَّ هذه القبائل جهزت نفسها للثأر من عقبة، حيث استعانت بالجيش البيزنطيّ، وفاجأت عقبة في بسكرة جنوب جبال أوراس، بجيش مكوّن من 50,000 جنديّ بقيادة كسيلة البربري، تمكن من قتل عقبة عام (64هـ/ 684م). ومثلت هذه المعركة نهاية مرحلة الفتوحات الإسلامية الأولى ببلاد المغرب.

**ثانيا - مرحلة الانتصار والفتح (69ه/ 91ه):**

1/ حملة زهير بن قيس البلوي: كان لمقتل عقبة بن نافع الأثر القوي على القبائل البربرية وللبيزنطيين الرافضين لانتشار الإسلام. فتبنت هذه الأطراف حركة مسلحة تهدف إلى صدّ الحملات القادمة من الشرق، وأهمها حركة القائد البربريكسيلة الذي جعل القيروان، بعد أن هجرها عدد كبير من المسلمين باتجاه مصر، بعد مقتل عقبة بن نافع، مركزا حربيا. لكن حركته انتهت سنة (69 هـ)، بعد قتله على يد زهير بن قيس البلوي، عندما أرسله الخليفة عبد الملك بن مروان في جيش لاستعادة إفريقية.

ووقعت المعركة في ممس غرب القيروان، استعاد فيها المسلمون سيطرتهم على كامل بلاد المغرب إلى حدود نهر ملوية. غير أن زهيرا قتل ببرقة في ليبيا سنة (71 هـ)، بعد أن هاجمه أسطول بيزنطي، وهو في طريق العودة للمشرق، إثر اندلاع حركة عبد الله بن الزبير.

2/ حملة حسان بن النعمان: قام هذا القائد سنة (76 هـ) ، بوضع الأسس للنظام السياسي والإداري والعسكري والثقافي في البلاد، وقام ببسط نفوذه على مدينة (قرطاجة)، لكنه اصطدم بمواجهةٍ عنيفة قادتها (الملكة الكاهنة)، زعيمة قبيلة (جراوة). وهي داهيا بنت ماتية بن تيفان. وقد دارت بينهما معركة في جبال أوراس انتهت بانتصار الكاهنة، وتراجع الجيش الإسلامي إلى الجريد ثم إلى قابس فبرقة.

إلا أن سياسة الكاهنة، والمتمثلة في تخريب البلاد بإحراق الأرض والزرع واقتلاع الأشجار، حتى لا يطمع فيها المسلمون، تسببت في نقمة عدد كبير من السكان عليها، ما ساهم في انتصار جيش حسان بن النعمان سنة (82 هـ)، بعد المعركة التي دارت بينهما بوسط إفريقية، وانتهت بمقتل الكاهنة، واسترجاع المسلمين نفوذهم على كامل بلاد المغرب من جديد. وساهم هذا الانتصار في نشر الإسلام واللغة العربية في صفوف القبائل البربرية.

وقد أدّت هذه الحملة إلى فتح أغلب المناطق الإفريقيه بشكل تام، وتم إنهاء المقاومة البربرية لجيوش المسلمين فيها.

3/ حملة موسى بن نصير: بعد أن عيّن موسى بن نصير واليا جديدا لبلاد المغرب سنة (85 هـ)، واصل حملاته العسكرية باتجاه المغرب الأقصى، فأخضع المناطق الغربية لوادي ملوية وصولا إلى المحيط الأطلسي، وجعل من مدينة طنجة قاعدة بحرية لتجهيز الجيش والأسطول لدخول الأندلس، مستغلا انتشار الإسلام في صفوف البربر الذين اندمجوا في الجيش الإسلامي، وكذلك الانقسامات السياسية التي كانت تشهدها الأندلس.

**أسباب الفتوحات الإسلامية:**

\*تقوية صفوف المسلمين وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية.

\*نشر الدين الإسلامي وتعاليمه لإخراج هذه المناطق من سيطرة المسيحيين الروم والبيزنطيين من جهة، ومن الديانات الأخرى التي انتشرت في صفوف البربر من جهة أخرى.

\*حماية ظهير الإسلام وتوطيد أركانه في بلاد الشام ومصر.

\*إضافة موارد جديدة لبيت مال المسلمين.

**نتائج الفتح العربي لبلاد المغرب:**

بعد سلسلة من الحملات والمعارك العسكرية التي خاضها المسلمون ضدّ الإمبراطورية البيزنطية، وحلفائها من الأمازيغ، والتي استمرّت ستة وستين عاماً، تمكن العرب من السيطرة على شمال أفريقيا، ونشر الإسلام فيها بصورة نهائية، فأضحى المغرب أحد مراكز الثقل في العالم الإسلاميّ.

وقد تأثر ثقافيا بشبه الجزيرة العربية، بعد أن هاجرت إليه الكثير من الأسر الحجازية واليمنيّة ، واستقرّت فيه، ومنهم بنو هلال القيسيون، ما سمح -بمرور الوقت- باستعراب الكثير من الأمازيغ بسبب الاختلاط الطويل، والتثاقف مع العرب.

**المصادر والمراجع:**

1- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي ، طنجة، ربيع الثاني 1380 ه، أكتوبر 1960م.

2- عبده عبد العزيز قلقيلة: النقد الأدبي في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 1988.

3- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، مصر، دت.

4- ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.

5- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، د ط، دار صادر بيروت، لبنان، 1408ه، 1988م.

6- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق ممدوح حقي، ط7، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، د ت.

7- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب.